قل لن ينفعكم الفرار

بقلم الشيخ القائد
أيمن الظواهري

تذكرت في هذه الأيام وأنا أتأمل في الأخبار التي ترد علينا من داخل مصر وخارجها عن الضجة المفتعلة التي يصطنعها الإعلام حول تصريحات البعض التي يكررونها ثم يتلقفها الإعلام ليضخمها وينفخ فيها ويضيف إليها الحواشي والشروح والتعليقات حول ما يسمى "بالمبادرة السلمية" في مصر.

أقول: تذكرت موقف الشيخ سيد قطب رحمة الله حينما طلبت منه أخته أن يكتب استرحاماً لعبد الناصر فقال قولته التي سجلت في تاريخ الدعوات نبراساً لمن بعده: (إن الأصبع التي تشهد لله بالوحدانية كل يوم خمس مرات يستحيل عليها أن تكتب استرحاماً لظالم)، وتعجبت كيف غاب هذا المعنى الواضح الجلي القوي عن أذهان من كانوا يزعمون أنهم من محبي سيد قطب ومن المتأثرين بأقواله، وكيف اختفى من تصريحاتهم.

وتعجبت أيضاً من حجم الافتراء الذي يمارس وتقلب فيه الحقائق وتُعظَّم فيه الصغائر وتُصغَّر فيه العظائم.

وتعجبت أكثر من جرأة هؤلاء الذين يدركون أن شباب الحركة الإسلامية يعرفون من هم، وماذا فعلوا، وإلام انتهوا.

ثم تأملت انقلاب المواقف والأقوال، من الحماسة الزائدة في الأقوال والنقد اللاذع وغمز الغير بأنهم متثاقلون مترددون إلى الخضوع المفرط للنظام واستجدائه حلاً، والتصفيق له كلما أفرج عن مجموعة من الأسرى، وتساءلت لماذا لا ينطقون بكلمة عن جرائم النظام التي لم تتوقف يوماً على الصعيدين الخارجي والداخلي، وعن سجونه، التي تفغر أفواهها لتبتلع كل يوم العشرات، وعن الفساد الذي تغرق فيه مصر إلى أذنيها والذي لم يستطع صحفيو الحكومة أنفسهم أن يتكتموه.

وتعجبت فيما تعجبت منه من برود هؤلاء وصفاقتهم وهم يتكلمون عن تحرير القدس عبر الاستسلام للنظام مبرِّرين بذلك استسلامهم، وهم متيقنون أن الناس يضحكون ملء أشداقهم من هذا التهريج.

وإذا كان ما ذكرنا هو بعض أحوال المناضلين المجاهدين الثائرين الذين كانت دماؤهم تغلي كالمراجل ثم أصبحت باردة كالجليد بعد أن عاشوا الحضارة والمدنية، وتمتعوا بالاستقرار تحت مظلة اللجوء السياسي، وضمان النظام الدولي الجديد، وشهامة أخلاق أوروبا المتحضرة، ونزاهة حضارة الغرب وماديته.

أقول: إذا كان ذلك هو حال من يدَّعون القيادة في الجهاد أو يُوصفون بها فلا عجب من أحوال من يزعمون أنهم وسطاء المجاهدين ووكلاؤهم، ممن ارتضوا العيش والحرية والحركة تحت مظلة النظام المصري.

لذا لم يكن غريباً أن يكتب أحدهم – بلا حياء – بأنه يطالب بعودة نشاط الحركة الجهادية علنياً تحت سمع الحكومة وبصرها – لكي ترعاها وتكلأها – وبضمانه ووساطته ومبادراته وتعهداته.

ولم يكن غريباً أيضاً أن يصدر منهم ما يصدر وهم يتحركون في حرية ويتصلون بوكالات الأنباء، ويقابلون الصحفيين، ويدلون بالأحاديث للقنوات الفضائية، ويعقدون في مكاتبهم المؤتمرات الصحفية، بل ويروحون ويجيئون عبر بوابات السجون المغلقة منذ ما يزيد على أربع سنوات ينشرون دعوة الاستسلام والإرجاف والتثبيط، ويحصلون من المعتقلين البؤساء المقهورين على بيانات التراجع عن الجهاد، ثم يطيرون بها إلى وكالات الأنباء لتكون مدار حديث الصحف والمجلات والإذاعات.

إن ظهور هؤلاء المتراجعين الناكصين وأولئك المخذلين المرجفين أمر عرفه تاريخ الدعوات وسيرة الرسل والصالحين عبر مراحل التاريخ.

ونحن في هذا المقام؛ نحذر هؤلاء وأمثالهم من أن يكون حالهم كحال الطوائف المترددة المذبذبة المتسارعة إلى الفرار من ميدان الجهاد التي حكى عنها القرآن الكريم، ونذكِّرهم بحال الطائفة الثابتة المطمئنة الباقية على عهدها مع ربها والموفية بميثاقها مع خالقها التي لم تزعزعها الحوادث ولم تهزها الابتلاءات ولم تزدها الشدائد إلا إيماناً وتسليماً.

{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً}.

وها هي سنة الله التي لا تتخلف، ووعده الذي لا يتبدل بتمكينه لعباده الثابتين الصابرين المرابطين.. {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا}.

نعم... إنها نفس القصة تتكرر ونفس السنة تعاد ولا تتبدل، وكما تتكرر نفس القصة فسيتكرر أيضاً مصير أطرافها، فليحذر كل امرئ من مصير السابقين من المخذلين ولْيَسْعَ جاهداً إلى المصير الذي يرجوه المجاهدون وإلى أقوم طريق.

طريق تعب فيه آدم وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عن مجلة المجاهدون